

## ثورة الشفقة

أ.د. لطيفة حسين الكندري

بحثتُ في موقع المكتبة الوطنية وغيرها عن كتاب عنوانه "الشفقة" فلم أعثِر على مرادي بالصورة التي أريدها. الشفقة الإيجابية تصحبها رقة في القلب، ورفق في التعامل، واطهار للرأفة، وابداء العون، وتبعد الفرد عن الظلم، وتدفعه للإحساس بمعاناة المكروب ونجدته. قوام الشفقة التخلي عن القسوة، والتخلي بكل جميل في القول والفعل والشعور. القلب المحروم من الشفقة قلب شقي عرضة لتهييج الشر البشري وحجب أشعة المودة والتعايش. ولقد حالمني الحظ في العثور على كتاب "حكمة الشفقة" وكتاب "فن السعادة" من تأليف الدالاي لاما حيث بسط القول في فكرة الشفقة النابعة من الرغبة في التخلص من الألم، وإحساس بالالتزام، والمسئولية والاحترام تجاه الآخرين. واستنادا إلى الدالاي لاما فإن آخر نتائج الأبحاث في علم الأعصاب تؤكد أن الشفقة عندما تغمر عقولنا نهتم بخير الآخرين، وأن دماغنا يصبح أكثر نشاطا بكثير. وهذه علامة واضحة على أن العواطف الإيجابية من سعادة وحماسة تسري عبر أرواحنا. ولهذا يصل المؤلف إلى خلاصة مفادها: إن أردت أن يكون الآخرون سعداء، فمارس الشفقة، وإن أردت أن تكون أنت سعيدا، فمارس الشفقة. وفي سياق ترسيخ قيمة الشفقة لا بد من تدريب الفرد على المحاكمة المنطقية بحيث يعرف أهمية الشفقة وفوائدها. والتقمص العاطفي وسيلة أخرى لتنمية مشاعر الشفقة لتعليم الإنسان معاناة الآخر ومثال ذلك أن يتصور الإنسان أنه مكان هذا الشخص المنكوب.

ولان الشفقة مطلب أساسي يذهب روبرت رايت في محاضرة (TED) بعنوان ثورة الشفقة، إلى أن التطور الوراثي لغريزة الشفقة عند الإنسان وغيره عبر القرون فعلا فكرة تسلفت النظر.

ونلاحظ الغزالي في أحيائه يركز على أن الوظيفة الأولى للمعلم هي الشفقة على المتعلمين وأن يجربهم مجرى أولاده وأعتقد أن هذا الخلق سيجعل المعلم لا يبخل بجهده على طلبته. ولقد أحسن مكتب التربية العربي لدول الخليج عندما نص في وثيقة أخلاق مهنة التعليم أن "العلاقة بين المعلم وطلابه صورة من علاقة الأب بأبنائه لحمتها الرغبة في نفعهم وسداها الشفقة عليهم والبر بهم".

وفي تراثنا نجد الحنان هو الشُّفقة والرَّحمة والمحبَّة وهو فعل من أفعال التُّفس وهي تدفع إلى الإخلاص والمحافظة على الحقوق وأداء الواجبات. والشفقة في تراثنا أيضا عناية مختلطة بخوف؛ لأنَّ المشفق يحبُّ المشفق عليه، ويخاف ما يلحق به من أذى ويبدل الهمة والوسع إلى إزالة المكروه عن النَّاس.

فإذا لم تثمر قوة الشفقة في الحرص على صيانة مصالح الآخرين فلا خير فيها ولهذا أشار الغزالي إلى أن من آفات الشيع حرمان الشفقة على المحتاجين. ومنتهى الشفقة أن يبذل الفرد كل ما يقدر عليه من أجل خدمة المعوزين.

تزدهر عاطفة الشفقة الصادقة في قلب من يؤمن بقيمتها، ويحميها من شغب شواغل الحياة، ويصونها من منغصات الخصومات والنزاعات. حياة البشر أجمل عندما نمارس الشفقة بشغف.

[dr.latefah@yahoo.com](mailto:dr.latefah@yahoo.com)

dralkandery@